حرب اكتوبر ١٩٧٣ بانتصاراتها التكتيكية واستخدامها سلاح البترول لاول مرة في الصراع · ومع تفجير الحرب الاهلية الطائفية في لبنان كان هناك التحالف بين القوى الوطنية التقدمية اللبنانية وبين المقاومة الفلسطينية · وهو التحالف الذي حول لبنان من فخ منصوب لاصطياد الثورة الفلسطينية والحركة الجماهيرية اللبنانية الى ساحة مواجهة مع اسرائيل والامبريالية والرجعية العربية ·

وهذا يعني ان « الفعل » و « الزمن » في موجة الجزر ليسا مطلقي السراح وانما هما محكومان ، دوما ، بقوى رد « الفعل » في ذات « الزمن » من جانب القوى التقدمية العربية وجماهيرها ·

صحيح ان ذلك يظل في دائرة الدفاع · وربما يكون رد الفعل ، ايضا اقل مستوى او فاعلية من الفعل ومتأخرا قليلا او كثيرا عن اللحظة التاريخية الملائمة داخل الوعاء الزمني ، الا انه يؤكد حقيقة جوهرية وهي عدم تمكن موجة الجزر من امتصاص حيوية حركة القوى التقدمية وخصوبتها النسبية على النضال والعطاء ·

الظاهرة الثالثة : تتبدى في ان موجة الجزر ، افرختها ظروف عصر دولي كان طابعه الحرب الباردة · ولكنها تتواصل ، اليوم ، في ظروف عصر دولي مختلف طابعه الانفراج الدولي وان كان ما زال قلقا وغير مستقر · غير انه يضع ـ بالضرورة ـ قيودا وحدودا على قدرات موجة الجزر على الحركة بنفس المعدل السابق ،سواء من حيث السرعة او كمية العنف المستخدم · كذلك فان الموجة انطلقت في اعقاب نصر كامل لاسرائيل في حربها الثالثة مع العرب ، ولكنها تتحرك اليوم في اعقاب هزيمة جزئية لاسرائيل ـ لاول مرة ـ في الحرب الرابعة ، وما خلفته من آثار سلبية على كيان اسرائيل ووزنها التقليدي الطامح دوما للقيام بدور الشريك الصغير للامبريالية في المنطقة ·

بتعبير آخر ثمة « تغيير ما » يعتمل في الظروف الراهنة المحيطة بحركة موجة الجزر ، ليس في صالح امريكا واسرائيل في المستقبل المنظور · الا انه مما يحد ـ عربيا ـ من امكانية الاستفادة من هذا التغيير بالسرعة والعمق المطلوبين ، غياب الاتحاد السوفيتي نتيجة تردي علاقاته العربية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة ، وايضا التردد في استثمار السلبيات التي عصفت بالكيان التقليدي لاسرائيل بعد حرب اكتوبر بالعمل على تكوين جبهة عربية اسرائيلية في الارض المحتلة تناضل سياسيا ضد المشروع الصهيوني وتطرح بديلا له ، مشروع الدولة الديمقراطية العلمانية ·